المآخذ العقدية والأصولية والمنهجية على محمد رشيد رضا.

The doctrinal, fundamental and methodological flaws of Muhammed Rashid Redha.

اسم ولقب المؤلف: أيمن راشد مصطفى عزَّام

الدرجة العلمية والوظيفة: طالب دكتوراه، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، شعبة التفسير وعلوم الحديث، جامعة الزاوية.

البريد الإلكتروني: a.rashid2000200354@gmail.com

تاريخ استقبال البحث: 2023/10/26م تاريخ المراجعة والقبول: 2023/12/06م

الملخص باللغة العربية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وبعد:

فقد درست في هذا البحث بعض المآخذ على محمد رضا، ومشكلة هذا البحث هي أن محمد رضا من تلامذة المجدد محمد عبده، وقد تأثر بالفكر السلفي، فهل كانت هذه المآخذ نتيجة عدم توفيقه بين الفكر التجديدي، والموروث السلفي؟

ولا شك أن محمد رضا من الشخيصات البارزة في الدعوة للإصلاح الديني في القرن المعاصر، ويهدف هذا البحث إلى دراسة تلك المآخذ وفق النصوص التشريعية وأقوال العلماء، واستخدمت في هذ البحث المنهج التحليلي والتاريخي والمقارن.

تحدثت عن محمد رضا بتمهيد في أول هذا البحث، ثم قسمت البحث إلى ثلاثة مطالب: الأول جعلته في المآخذ العقدية لمحمد رضا، والثاني المآخذ الأصولية، والثالث المآخذ المنهجية، وفي كل مطلب من هذه المطالب استشهدت بحوالي ثلاثة نماذج تقريباً من المآخذ المسجلة عليه، واختتمت البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج؛ من بينها: أنه غلب على تفسيره وتحليله للآيات والقضايا الإسلامية المنهج العقلاني الفلسفي، فأدَّى ذلك إلى إنكار بعض الغيبيات.

© للمؤلف (المؤلفون)، يخضع هذا المقال لسياسة الوصول المفتوح ويتم توزيعه بموجب شروط ترخيص إسناد المشاع الإبداعي CC BY-NC 4.0

الكلمات المفتاحية: المنار، التجديد، القدح.

Research Summary:

Praise be to God, and may blessings and peace be upon the Messenger of God, his family and companions, and after:

In this research, I discussed the shortcomings of Muhammad Redha, and the problem of this research revolved around the fact that Muhammad Redha was one of the students of the modernist Muhammad Abduh, and was influenced by Salafi thought. Were these shortcomings the result of his failure to reconcile innovative thought and the Salafi heritage?. There is no doubt that Muhammad Redha is one of the prominent figures in the call for religious reform in the contemporary century, and this research aims to study these shortcomings according to legislative texts and the sayings of scholars. The analytical, historical and comparative method was used in this research. I talked about Muhammad Redha in an introduction at the beginning of this research, then I divided the research into three demands: the first I made it into the doctrinal points of view of Muhammad Redha, the second the fundamentalist points of view, and the third the methodological points, and in each of these demands I cited approximately three examples of the points recorded against him. The research concluded with a conclusion that included the most prominent findings, including: that his interpretation and analysis of Islamic verses and issues was dominated by the rational philosophical approach, and this led to the denial of some of the unseen.

مقدمة

الحمد لله هو للحمد أهلٌ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً طيباً مباركاً، وبعد:

فمحمد رضا يُعدُّ من الشخصيات التي برزت في بداية القرن الرابع عشر للهجرة، وكان له عدة أنشطة في جانب الإصلاح والدعوة، كما كان صحفيّاً وكاتباً وأديباً لُغوياً، لكنه وقع في بعض الزلات وسُجِّلت ضدَّه بعضٌ من المآخذ، وهذا ما سأتناوله في هذا البحث.

الإشكالية والتساؤلات:

محمد رضا من تلامذة المجدد محمد عبده[1] في علم الكلام، وفي الوقت نفسه تأثَّرَ بالعقيدة الفكرية السلفية في كثير من قضاياه.

من خلال هذه الإشكالية تُطرح عدة تساؤلات، منها:

س1: هل كانت تلك المآخذ نتيجة عدم التوفيق بين التجديد والاحتفاظ بالموروث السلفي؟

س2: هل كانت زلاته في العقيدة مخالفة لمنهج وآراء أهل السنة؟

س3: هل كانت آراؤه الأصولية والمنهجية وفق معايير وضوابط أصولية ومنهجية؟

منهج الدراسة:

من خلال الكتابة في هذا البحث سأستخدم المنهج التحليلي والتاريخي والمقارن، وذلك باختيار مآخذ على محمد رضا، وتحليلها ومناقشتها على ضوء النصوص وأقوال العلماء ونقدها.

أهداف البحث:

1. الوقوف على أهم المحطات في حياة محمد رضا.
2. بيان المآخذ العقدية والأصولية والمنهجية التي سُجلت على محمد رضا.
3. دراسة تلك المآخذ وفق النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء.

1- هو مُحمَّد عبده بن حسن خير الله، مفتي الدِّيار المصريَّة وتولَّى منصب القَضَاء فيها، من كِبَار رجال الإصلاح والتَّجديد في الإسلام، من مؤلفاته: الإسلام والرَّد على مُنتقِديه، الإسلام والنَّصرانيَّة مع العِلم والمدنِيَّة، شرح نهج البلاغة، تُوفِّي سنة 1323هـ يُنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الطبعة الخامسة عشر: 2002م، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، 6/ 252.

الدراسات السابقة:

هذا عرضٌ لبعض الدراسات التي تمكنت من الوقوف عليها، وكانت قد اهتمت بالحديث عن محمد رضا ومنهجِهِ:

1. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، الطبعة الأولى: 2004م، دار ماجد عسيري.

احتوى هذا الكتاب على تمهيد تحدَّث فيه المؤلف عن الحالة العلمية والدينية والسياسية في موطن رشيد رضا، والباب الأول بعنوان: منهج رشيد رضا في الإيمان بالله تعالى، والباب الثاني بعنوان: منهج رشيد رضا في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، والباب الثالث بعنوان: منهج رشيد رضا في الإيمان باليوم الآخر.

2. آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراط الساعة الكبرى وآثارها الفكرية، مشاري سعيد المطرفي الطبعة الأولى: 2014م، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، الكويت.

هذا الكتاب هو عبارة عن رسالة ماجستير نُوقشت سنة 2013م، بكلية الشريعة قسم أصول الدين تخصص العقيدة، جامعة آل البيت بعُمان، إشراف محمد خيري العمري. وقد اشتمل هذا الكتاب على فصل تمهيدي احتوى موضوع أشراط الساعة وأدلتها ووقوعها وأقسامها وحجية خبر الآحاد في العقائد. والفصل الأول منه بعنوان: نبذة عن محمد رشيد رضا، والفصل الثاني بعنوان: نبذة عن تفسير المنار، والفصل الثالث بعنوان: آراؤه العقدية في أشراط الساعة والرد عليها، والفصل الرابع بعنوان: الآثار الفكرية لآراء محمد رشيد رضا.

3. الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، منوبة برهاني، رسالة دكتوراه نُوقشت سنة 2007م، بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم، قسم الشريعة الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، إشراف مسعود فلوسي.

هذه الرسالة اشتملت على ثلاثة أبواب، الباب الأول: للتعريف بمحمد رضا، والباب الثاني: الجانب النظري لمقاصد محمد رضا، والباب الثالث دراسة نظرية المصلحة عند محمد رضا.

هذه الدراسات التي ذكرتها تناولت الحديث عن منهج محمد رضا، وآراءه العقدية، وفكره المقاصدي، بينما بحثي يتناول المآخذ العقدية والأصولية والمنهجية على محمد رضا، ولم يتناول منهجه، أو آراءه، أو فكره المقاصدي.

منهجية البحث:

بدأ هذا البحث بتمهيد تناولت فيه تعريفاً بمحمد رضا، ثم مآخذه العقدية ومآخذه الأصولية ثم مآخذه المنهجية، وكل عنوان تحت مطلب مستقل، ثم ختمت البحث بخاتمة لأهم النتائج، ثم أتبعتها بقائمة للفهارس الفنية.

واتبعت في هذه الدراسة ترجمة لجميع ما ورد في البحث من أعلام إلا الصحابة وأصحاب المذاهب الفقهية، كما ذكرت معلومات الكتب والمجلات كاملة في قائمة المصادر والمراجع، وبالنسبة للهوامش فقد اكتفيت بذكر عنوان الكتاب، أو صاحب المقال مع الجزء ورقم الصفحة.

خطة البحث:

المقدمة: وما تشتمل عليه من عناصر.

التمهيد: التعريف بمحمد رشيد رضا.

المطلب الأول: المآخذ العقدية على محمد رشيد رضا.

المطلب الثاني: المآخذ الأصولية على محمد رشيد رضا.

المطلب الثالث: المآخذ المنهجية على محمد رشيد رضا.

الخاتمة: وما تحتويه من أهم النتائج.

المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

التمهيد

التعريف بمحمد رشيد رضا[1]

1() يُنظر: السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة، الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الأولى: 1937م، مطبعة ابن زيدون، دمشق/ سوريا، ص5، وما بعدها؛ محمد بهجة البيطار، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء التاسع والعاشر، المجلد الخامس عشر، مطبعة ابن زيدون، دمشق/ سوريا، ص366، 367؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الأولى: 1986م، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، 804/2، 806.

هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، فجدُّه الرابع قدم من شط الفرات إلى قرية القلمون على شاطئ البحر الأبيض المتوسط من جبل لبنان، تبعد عن مدينة طرابلس الشام ثلاثة أميال، وكان أهل هذه القرية من السادة الأشراف المتواتري النسب، وأهل بيته يلقبونهم بالمشايخ.

وُلد محمد رضا في 27 من شهر جمادى الأولى سنة 1282هـ الموافق: 1865م في قرية القلمون، وقد نشأ في تلك القرية، وتعلق قلبه بمسجدها، فكان يذهب إلى المسجد من السحر ولا يرجع إلى بعد ارتفاع الشمس، وقد اتخذ لنفسه غرفة في المسجد للمطالعة والعبادة، ويصلي التهجد تحت أشجار بستانهم، وكان يحضر في رمضان حلقة لقراءة القرآن فيقرؤون في رمضان يوميّاً خمسة عشر جزءاً، وفي غير رمضان خمسة أجزاء.

كما اتصف بشدة الحياء، وكثرة مطالعته للكتب، فقد رغب منذ حداثته في الجِدِّ وطلب العلم طلباً حثيثاً، وكان قوي الذاكرة في الاستحضار والفهم، بخلاف حفظ المتون والأعلام، فدرس بمدرسة الرشدية الابتدائية في طرابلس لمدة سنة وكانت دروسها باللغة التركية، ثم دخل المدرسة الوطنية الإسلامية التي كان مديرها حسين الجسر[1]، فكانت تدرس موادها باللغة العربية بالإضافة إلى تدريسها مواد شرعية وتدريسها مادتي اللغة التركية والفرنسية، لكن المدرسة أغلقت أبوابها؛ لعدم اعتمادها من المدارس الدينية في الدولة، فالتحق بالمدارس الدينية في طرابلس بعد بلوغه سن الرشد.

فحفظ بعضاً من سور القرآن لوحده؛ وهي سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، ويوسف، والكهف، ومريم، وحفظ المفصل من السور، وأخذ علوم الحديث وفقه الشافعية، وكان يطالع كتب الأدب والتصوف؛ فنشأ نشأة صوفية عبادة وتخلُّقاً، وتأثر كثيراً _كما قال_ بكتاب إحياء علوم الدين سواء في الجانب الديني، أو الأخلاقي، أو العلمي، أو العملي، كما برع في اللغة والشعر.

1() هو حسين بن محمد بن مصطفى الجسر، من مدينة طرابلس الشام، عالم بالفقه والأدب، من خريجي الأزهر، له عدة مؤلفات، منها: الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة المحمدية، والحصون الحميدية في العقيدة الإسلامية، وإشارات الطاعة في حكم صلاة الجماعة، توفي سنة 1327هـ. يُنظر: الأعلام، 2/ 258.

وكان يذهب للمقهى في قريته يُلقي دروساً تعليمية، ويُبين لهم أهمية الصلاة ومكانتها، كما يعطي للرجال في المسجد دروساً في العقيدة والفقه، وللنساء دروساً كذلك في داره، ويقرأ لأقاربه من النساء كتباً في الأدب والتاريخ والوعظ.

وبعد هذه النشأة التي نشأها في بلده والتربية الصوفية التي تربَّاها، والشهرة التي اشتهر بها، أرسل كتاباً إلى جمال الدين الأفغاني[1] في الآستانة _إسطنبول حالياً_ يريد الالتحاق به؛ للاستزادة من الحكمة والجهاد في خدمة الإسلام، إلا أن موت الأفغاني حال دون الالتحاق به، فقرر الهجرة إلى مصر؛ لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم أكثر من بلده الخاضع لحكم الدولة العثمانية آنذاك، وكذلك الالتحاق بمحمد عبده تلميذ الأفغاني، والاستفادة من خبرته وخطته الإصلاحية.

وفور وصوله للقاهرة وكان ذلك في سنة 1315هـ، التحق بمحمد عبده وتتلمذ على يديه، وأنشأ مجلة المنار وأصبح رئيس تحريرها، فأصبحت المنار منذ ظهورها لسان حال محمد عبده في إصلاحه الديني والاجتماعي، وبالرغم من كثرة انشغاله إلا أن محمد رضا كان الترجمان الأول؛ لإبراز أفكاره للقراء ببيان أنيق وأسلوب رشيق، وكان محمد عبده ينهاه عن الخوض في السياسة ويحذره منها، وبعد أن توفي محمد عبده سنة 1323هـ دخل في السياسة، وخاض غمارها، فنقد الدولة العثمانية، وأنشأ مع المعارضين لها جمعية الشورى العثمانية وأصبح رئيسها، وأرسلت منشورات سرية لأرجاء البلاد فأقلقت مضاجع الدولة.

وفي عام 1326هـ أعلنت الدولة العثمانية دستورها، فزار بلاد الشام، ومرَّ ببيروت ثم دمشق، وألقى في الجامع الأموي دروساً في العقيدة، ورفض دستور الدولة العثمانية، فحدثت فتنة فعاد إلى مصر، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، فأصبحت تُخرِّج دعاة وتعطيهم شهادة مرشد بعد ثلاث سنوات من الدراسة، فكان لها الأثر الكبير في إعداد الدعاة.

1() هو جمال الدين محمد بن صفدر الأفغاني، وُلد بأسعد أباد في أفغانستان، فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الذين قامت النهضة على سواعدهم، تلقى العلوم العقلية والنقلية وبرع في الرياضيات، أتقن عدة لغات، لم يُكثر من التصنيف؛ لانشغاله بالدعوة، وتصانيفه: تاريخ الأفغان، ورسالة الرد على الدهريين، تنقَّل بين مدن كثيرة، ونُفي من الآستانة ثم من مصر، وعاد إلى الآستانة بدعوة من الخليفة العثماني عبد الحميد، ثم توفي بها بعد إصابته بالسرطان في فكه، ويقال دُس له السم سنة 1315هـ. يُنظر: الأعلام: 6/ 167 - 169.

كما طرأ عليه بعد وفاة محمد عبده اشتهاره بميله إلى التفسير بالمأثور، والاهتمام بكتب السلف وطباعتها في مطبعة المنار، فثار عليه خصومه وسمُّوه بالوهابي، وقد بذل جهداً كبيراً فكتب مقالات وألف كتباً للدفاع على الدعوة الوهابية.

وفي أثناء حرب الإنجليز على مصر وجدوا كتباً معه تتضمن التحذير منهم، فوضعوه تحت المراقبة الشديدة، ولما انتهت الحرب زار طرابلس الشام وبلدته القلمون، وذهب إلى دمشق في أثناء تأسيس الحكومة السورية العربية، فانتُخب رئيساً للمؤتمر السوري، وكان عضواً في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بمكة المكرمة، وعضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس.

وعند دخول الجيش الفرنسي دمشق وقضائه على الحكومة السورية عاد إلى مصر في سنة 1920م، ثم انتخب نائباً أول في المؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد في جنيف سنة 1921م؛ للمطالبة باستقلال بلاد الشام، ومخاطبة الدول الأوروبية وجمعية الأمم بذلك.

شيوخه:

وقد تتلمذ على عدة شيوخ[1]؛ من أهمهم:

1. حسين الجسر: كان مديراً للمدرسة الوطنية الإسلامية التي التحق بها محمد رضا، وكان من أوائل شيوخه، وأخذ منه علوم اللغة العربية والشرعية العقلية، ومكث يتعلم عنده ثمان سنوات، فقد تحدَّث عنه محمد رضا بأنه كان له إلمام واسع بالعلوم العصرية، وكان كاتباً وشاعراً عصريّاً، ينظِّم العبارة بأسلوب سهل وميسَّر، بعيداً عن المناقشة اللفظية واستطرادات الحواشي.
2. محمود نشَّابة: هو محمود بن محمد بن عبد الدائم نشابة الزيلعي، من أهل طرابلس الشام، من خريجي الأزهر، تعلم ما يقارب ثمانية عشر علماً، وقضى بالأزهر ثلاثين عاماً متعلِّماً ومعلِّماً، ومن كتبه: حاشية على متن البيقونية، وحاشية على شرح الفناري في علم المنطق، وحاشية على همزية البوصيري، وقد أخذ منه محمد رضا فقه الشافعية، وفن الحديث، توفي سنة 1308هـ.

1() يُنظر: السيد رشيد رضا، ص39، 168؛ محمد بهجة البيطار، 15/ 371؛ الأعلام، 32/4، 33، 118/6، 119، 185/7، 186.

3. عبد الغني الرافعي: هو عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، من فقهاء الحنفية، ومع هذا كان مستقلاً يرجح ما ثبت رجحانه ولو كان مخالفاً لمذهبه، وُلد وتعلم في طرابلس الشام، وأخذ الحديث عن علماء دمشق، وعُيّن مفتياً لطرابلس، ثم قاضياً في لواء تعز باليمن، ثم رئيساً لاستئناف الحقوق والجزاء في ولاية صنعاء، وغلب عليه التصوف في آخر عمره، وقد حضر محمد رضا دروساً عنده في كتاب نيل الأوطار للشوكاني، توفي بمكة سنة 1308هـ.
4. محمد القاوقجي: هو أبو المحاسن محمد بن خليل بن إبراهيم القاوقجي، من فقهاء الحنفية، ولد في طرابلس الشام وتلقى العلوم فيها، ثم رحل إلى مصر وتفقَّه في الأزهر لمدة سبع وعشرين سنة، ثم عاد إلى بلده، ودرس عليه محمد رضا كتابه رفع الأستار المسدلة في الأحاديث المسلسلة وبعض من كتابه شرح المعجم الوجيز، ثم مات حاجاً بمكة سنة 1305هـ.
5. محمد عبده: هو من أبرز شيوخه، وأكثر من تأثر به محمد رضا، وكان هو والأفغاني من الذين أُعجب بهم في نشأته، بعد قراءته وتتبُّعه لجريدتهما "العروة الوثقى"، لكنه لم يلتقِ بالأفغاني مع محاولته الالتحاق به، لكنه التقى بمحمد عبده، وكان أول لقاء بينهما عندما زار محمد عبده طرابلس الشام، وهذا اللقاء لم يتجاوز ساعة من الزمن، ثم عاد والتقى به مرة أخرى عندما زار طرابلس الشام، فلازمه من أول النهار إلى وقت النوم في هذه الزيارة، وبعد ذلك سافر إلى مصر؛ لغرض صحبته وإنشاء صحيفة إصلاحية تستمد مادتها من حكمته واختياره، فلازم محمد عبده وتتلمذ على يديه إلى أن توفي سنة 1323هـ.

مؤلفات محمد رضا:

لمحمد رضا مؤلفات كثيرة، منها ما هو مطبوع، ومنها ما لم يُطبع[1]، ومن هذه المؤلفات:

1. تفسير القرآن الكريم، والمشهور بتفسير المنار: وهذا التفسير بلغ ثلاثة عشر مجلداً، لكنه غير مكتمل، فقد وصل في تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾. وهي الآية 101 من سورة يوسف.
2. مجلة المنار: هي أكبر مجلة إسلامية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، صدر أول عدد منها سنة 1315هـ، وكانت مجلة أسبوعية ثم في عامها الثاني أصبحت تصدر كل شهر مرتين، وبعد

1() يُنظر: السيد رشيد رضا، ص8 وما بعدها؛ مقدمة مجلة المنار؛ الأعلام، 126/6، 127.

سنوات أصبحت تصدر كل شهر عربي مرة واحدة، وكانت تهتم بالبحوث الدينية، ولم تهمل مقالات عن السنن الكونية والطب والصحة، وأفردت مساحات للأدب والشعر والقصة الطريفة وغير ذلك، وقد صادف المجلة كثيراً من الصعوبات والمنافسة والأزمات المالية، لكنها استمرت في صدور أعدادها إلى وفاة مؤسسها سنة 1354هـ، ثم صدر بعد وفاته أعداد قليلة ثم توقفت.

3. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: تحدَّث فيه عمَّا جرى معه في مصر خلال صحبته له وتتلمذه عليه، وجاء في ثلاثة أجزاء.
4. نداء للجنس اللطيف: تحدَّث فيه عن حقوق النساء في الإسلام، وتعدد الزوجات، والحجاب، والطلاق، وبر الوالدين، وتربية البنات، وما يتعلق بأزواج النبيﷺ من أحكام، وقد تُرجم لعدة لغات.
5. الوحي المحمدي: وقد تُرجم أيضاً لعدة لغات.
6. ذكرى المولد النبوي.
7. يُسر الإسلام وأصول التشريع العام.
8. الخلافة أو الإمامة العظمى.
9. الوهابيون والحجاز.
10. شبهات النصارى وحجج الإسلام.

وفاته:

بعد هذه السنوات والمراحل التي مرَّ بها في حياته من شخص متأثراً بشيوخه في الشام، وبكتاب إحياء علوم الدين، فكان صوفيّاً في النسك، ثم اتصاله بالأفغاني ومحمد عبده من خلال مجلة العروة الوثقى، فتأثر بالمنهج العقلاني الإصلاحي، ومن ثَمَّ انتقاله إلى مصر وصحبته لمحمد عبده وتأثره بالصوفية الفلسفية، ثم وصل إلى المرحلة الأخيرة بعد وفاة محمد عبده تأثره بالمنهج السلفي، وخوضه غمار السياسة، ومن خلال هذه المراحل التي مرَّ بها أصبح أحد رجال الإصلاح الإسلامي، ومن العلماء بالحديث، والتفسير، والأدب، والتاريخ، ومن الكتَّاب المشهورين، توفي في السيارة أثناء رجوعه من السويس إلى القاهرة، ودُفن بالقاهرة سنة 1354هـ، 1935م.

المطلب الأول

المآخذ العقدية على محمد رشيد رضا

هناك مجموعة من المآخذ التي سُجلت على محمد رضا في الأمور العقدية، وهي من الأمور أجمع عليها العلماء، أو كانت مخالفة لما ذهب إليه الجمهور، وهذه أبرز المآخذ:

أولاً: إنكاره لظهور المهدي:

ذهب محمد رضا عند جوابه على سؤال بخصوص ظهور رجل يؤيد الدين ويظهر العدل إلى غير ذلك ويُسمَّى بالمهدي، فأجاب بأنه "ليس في متن البخاري ذكر صريح للمهدي، ولكن وردت فيه أحاديث عند غيره؛ منها ما حكموا بقوة إسناده، ولكن ابن خلدون[1] عَنِي بإعلالها وتضعيفها كلها. ومن استقصى جميع ما ورد في المهدي المنتظر من الأخبار والآثار، وعرف مواردها ومصادرها؛ يرى أنها كلها منقولة عن الشيعة...، وقد جرت هذه العقيدة على المسلمين شقاءً طويلاً؛ إذ قام فيهم كثيرون بهذه الدعوى، وخرجوا على الحكام، فسفكت بذلك دماء غزيرة...، ومن الخذلان الذي ابتلي به المسلمون أن هذه العقيدة مبنية عندهم على القوة الغيبية، والتأييد السماوي؛ لذلك كانت سبباً في ضعف استعدادهم العسكري فصاروا أضعف الأمم، بعد أن كانوا أقواها، وأشدهم ضعفاً أشدهم بهذه العقيدة تمسكاً، وهم مسلمو الشيعة في إيران، فإن المسألة عندهم اعتقادية، أما سائر المسلمين فالأمر عندهم أهون، فإن منكر المهدي عندهم لا يعد منكراً لأصل من الدين...، وجملة القول إننا لا نعتقد بهذا المهدي المنتظر، ونقول بضرر الاعتقاد به"[2].

1() هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، الفيلسوف المؤرخ والعالم الاجتماعي، أصله من إشبيلية لكن مولده ونشاته كانت بتونس، وُلي بمصر قضاء المالكية، من كتبه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ووضع لها مقدمة اشتهر بمقدمة ابن خلدون في أصول علم الاجتماع، توفي فجأة بالقاهرة سنة 808هـ. يُنظر: الأعلام، 330/3.

2() مجلة المنار، 138/7.

لا يُعدُّ محمد رضا الوحيد الذي أنكر ظهور المهدي، فهناك آخرون أنكروا ظهوره كابن حزم وابن خلدون[1] وغيرهم، وقد علل محمد رضا بأن الإيمان بظهور المهدي أدى إلى ضعف الأمة وقلة استعداداها الحربي، إضافة إلى أنه لم يصرح باسم المهدي في أحاديث صحيح البخاري.

وظهور المهدي من الأمور التي ثبتت عند جمهور أهل السنة والجماعة، بناء على أحاديث عن النبيﷺ، منها قوله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»[2]، وقولهﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»[3]، لكن ليست من مسائل الاعتقاد القطعي بل من المسائل الفرعية التي يجوز الاختلاف فيها، فأحاديث المهدي ظنية الدلالة؛ فصحيحها ليس صريحاً وصريحها ليس قوي الإسناد، كما أن واجبات الدين: اعتقاد وأعمال وآداب والتصديق بظهور المهدي ليس من الأمور التي يجب العلم بها عينيّاً أو كفائيّاً، وليس من الأمور العملية أو الآداب، بل يندرج تحت الأمور المتعلقة بالمعارف الإسلامية[4]، وعلى هذا فالذي أنكر ظهور المهدي خالف جمهور أهل السنة والجماعة، لكنه لا يُكفَّر.

1() يُنظر: تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية: 1988م، دار الفكر، بيروت/ لبنان، 15/4.

2() صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى: 1422هـ، دار طوق النجاة، بيروت/ لبنان، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم _عليهما السلام_، ح: 3449، 168/4؛ صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح: 155، 136/1.

3() سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، المكتبة العصرية، صيدا/ لبنان، كتاب المهدي، ح: 4285، 107/4. حديث حسن. يُنظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، المكتب الإسلامي، بيروت/ لبنان، 1140/2.

4() يُنظر: تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، محمد الطاهر ابن عاشور، الطبعة الثانية: 2008م، دار سحنون، تونس، ص49، 50؛

/https://www.facebook.com/106541711150423/posts/106614221143172

ثانياً: إنكاره لانشقاق القمر:

أنكر محمد رضا الروايات التي دلت على معجزة انشقاق القمر التي حدثت للنبي ﷺ بقوله: "إن العلماء الذين تساهلوا بقبول روايات انشقاق القمر، وجعلها آية كونية حسية جعلت حجة على كفار مكة عندما اقترحوها، وتمحلوا في الأجوبة عن الاعتراضات العقلية الأصولية عليها، فجاءوا بما لا يقبله العاقل المستقل، إنما حملهم على ذلك حب تكثير المعجزات النبوية كما تقدم وتفنيد منكريها؛ لأن العوام يفهمون من إعجازها ما لا يفهمون من إعجاز القرآن، وقد تغيرت الحال في هذا الزمان الذي كثر فيه استقلال الفكر ورفض التقليد في أكثر المتعلمين، فصارت هذه الروايات تعد طعناً في علم المسلمين وعلمائهم، ويخشى أن تعد طعناً في الإسلام نفسه"[1].

وقد ردَّ محمد رضا على هذه الروايات وصحتها بعدة ردود من أهمها:

1. بطلان صحة تواتر الروايات في انشقاق القمر، ففي الصحيحَيْن رُوي حديث انشقاق القمر عن واحد من الصحابة وهو عبد الله بن مسعودﷺ، والأحاديث الأخرى ترجع لهذا الطريق أو جاءت مرسلة.
2. استشكال عدم تواتر رواية الأحاديث، فالحادثة مما يصعب إخفاؤها.
3. تباين واختلاف متون الأحاديث، فمنها ما دل على حدوثه وهم بمكة، ومنها ما دل على حدوثه وهم بمِنَى، ومنها ما لم يدل على المكان
4. استشكال حدوث هذا الأمر فلكيّاً[2].

معجزة انشقاق القمر من معجزات النبي ﷺ، قد ثبتت بآية سورة القمر، والأحاديث الصحيحة وأجمع عليها العلماء حيث "أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله ﷺ، فإن كفار قريش لمَّا كذبوه، ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه، فأعطاه الله هذه الآية العظيمة التي لا قدر للبشر على إيجادها"[3]، كما أن هذا الانشقاق وقع "على

1() محمد رضا، 361/30.

2() يُنظر: المصدر نفسه، 261/30، 361.

3() شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، الطبعة الأولى: 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 471/6.

حقيقته، ووُجد ذلك بمكة بمنى، بعد أن سألت قريش رسول الله ﷺ آية، فأراهم انشقاقه، على نحو ما ذكر، ثم إن عبد الله بن مسعود أوضح كيفية هذا الانشقاق حتى لم يترك لقائل مقالاً، فقال: وكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه. وفي رواية: فستر الجبل فلقة، وكانت فلقة فوق الجبل، ونحو ذلك. قال ابن عمر _رضي الله عنهما_ وقد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة ﷺ...، وروى ذلك عن الصحابة أمثالهم من التابعين، ثم كذلك ينقله الجمع الغفير والعدد الكثير، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا، وانضاف إلى ذلك ما جاء من ذلك في القرآن المتواتر عند كل إنسان، فقد حصل بهذه المعجزة العلم اليقين الذي لا يشك فيه أحد من العاقلين"[1]. وبناء على ما سبق فقد تبيَّن بأن هذه المعجزة وقعت حقيقة من خلال هذه الأدلة وما عليه جمهور العلماء، وما لجأ إليه محمد رضا من وضع العقل هو المعيار لقبول هذه الروايات، فلا ريب بأن العقل المجرد يعجز عن تصور ذلك الأمر ووقوعه.

ثالثاً: تأويله في معراج النبيﷺ:

ذهب محمد رضا بأن معراج النبي ﷺ إلى السماء الدنيا كانت عبارة عن رؤيا منامية، حيث قال: "فالأرجح عندي أن المعراج كان رؤيا منامية روحانية...، وفي هذه الرؤيا فرضت الصلوات الخمس؛ لأن رؤيا الأنبياء من الوحي كرؤيا إبراهيم أنه يذبح ولده، والمعراج لم يرد له ذكر في القرآن مطلقًا"[2]، وفي موضع آخر ذكر بأن المعراج "كان مشاهدة روحية، لم يتنقل فيها جسده الشريف من مكانه"[3].

اتفق جمهور العلماء بأن معجزة الإسراء حدثت للنبي ﷺ بالروح والجسد؛ لأن القرآن الكريم صرَّح بذلك في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]، أما المعراج فقد وقع فيه خلاف، أكان بالجسد والروح أم بالروح فقط؟ فذهب جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة بأن المعراج وقع في اليقظة بالروح والجسد،

1() المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب وآخرون، الطبعة الاولى: 1996م، دار ابن كثير، بيروت/ لبنان، 403/7.

2() محمد رضا، 577/14.

3() المصدر نفسه، 664/14.

4() الإسراء: 1.

ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل، حيث إن القرآن الكريم تحدَّث عن الإسراء صراحة والمعراج ضمناً، بينما السنة جاءت مصرحة بالأمرين معاً. وما ذهب إليه محمد رضا يُعدُّ مخالفاً لما ذهب إليه جمهور العلماء[1].

المطلب الثاني

المآخذ الأصولية على محمد رشيد رضا

هناك مجموعة من المآخذ التي سُجلت على محمد رضا في الأمور الأصولية والفقهية، ومخالفة مثل هذه الأمور هي خروج عما ذهب إليه جمهور الأصوليين والفقهاء، ومن أهمها:

أولاً: عدم الأخذ بخبر الآحاد:

ذهب محمد رضا بأن خبر الآحاد لا يؤخذ به في العقائد، حيث قال: "ولا يؤخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة السند في العقائد؛ لأنها ظنية باتفاق العلماء والعقلاء"[2].

خبر الآحاد أو خبر الواحد وهو الذي لم يبلغ حد التواتر اختلف العلماء في إفادته[3]:

1. رُوي عن مالك بأن خبر الواحد الثقة يفيد العلم اليقيني مطلقاً فهو موجب للعلم والعمل معاً.
2. مذهب عامة أهل الحديث والأئمة الأربعة بأن خبر الواحد يفيد العلم اليقيني إذا اختفت به القرائن، فهو موجب للعلم والعمل معاً.
3. ذهب ابن عبد البر[4] بأن خبر الواحد الثقة يفيد الظن لا العلم، ولكن يلزم العمل به فهو حجة من حجج الشرع.

1() يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دون ذكر اسم الطبعة: 1379هـ، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، 197/7.

2() محمد رضا، 611/7.

3() يُنظر: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، عامر بن حسن صبري، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة/ السعودية، ص8- 13.

4() هو أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي، طلب العلم واعتنى به، وأخذ من شيوخ الأندلس واتسع في الرواية والدراية، فأصبح محدثاً وفقهاً، وألف تاريخاً مشهوراً، توفي سنة 338هـ. يُنظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، دار التراث، القاهرة/ مصر، 172/1.

فالعمل بخبر الآحاد يشمل العقائد والأحكام على سواء، وبالنظر إلى هذه الآراء لم نجد أن أحداً من العلماء من ردَّ العمل بهذه الأحاديث في العقائد، وهذا الأمر قد حصل به الإجماع قديماً وحديثاً، يقول ابن عبد البر: "وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار _فيما علمت_ على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به إذا ثبت، ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج، وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافاً"[1].

ثانياً: عدم الأخذ بالنسخ:

هذه المسألة تتعلق بأمرين، وهما كما يلي:

1. ذهب محمد رضا بأن نسخ التلاوة مع بقاء الحكم أو مع نسخه "لا يجب علينا اعتقاده، وإن قال به القائلون ورواه الرَّاوُون"، وعلَّل عدم قبوله ذلك بأنهم "التمسوا له من الحكمة ما هو أضعف من القول به، وأبعد عن المعقول...، بل علينا ألا نصدق بأن كون هذا القول آية منسوخة، إلا إذا روي ذلك بالتواتر"، و "لم يرو في هذا المقام حديث صحيح السند، إلا قول عمرﷺ في الشيخ والشيخة إذا زنيا، وهو من رواية الآحاد"[2].

ذهب جمهور العلماء إلى جواز نسخ التلاوة وأنه وقع في القرآن الكريم[3]، واستدلوا بعدة أدلة، منها قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[4] فالمراد بالنسخ هاهنا رفع التلاوة، أو التلاوة والحكم معاً، وفي المقابل قلة من أهل العلم من أنكر وقوع نسخ

1() التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، دون ذكر رقم الطبعة: 1387هـ، وزارة عموم الاوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط/ المغرب، 2/1.

2() محمد رضا، 611/7.

3() يُنظر: أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، 80/2.

4() البقرة: 106.

التلاوة كالزجاج[1] والنحاس[2] وابن عاشور[3]، واستدلوا بعدة أدلة منها: أن تغيير اللفظ بغيره يناسب البشر، وما قيل أنه كان قرآناً ونسخ لفظه لا نجد فيه أسلوب القرآن[4].

وما ذهب إليه محمد رضا هو قول مخالف للجمهور، وما ورد فيه من حديث عمر هو من خبر الآحاد، وجاز الأخذ بخبر الآحاد وهذا ما ذكرناه سابقاً من خبر الآحاد، إضافة إلى أن قول الصحابي لا يلزم أن يكون ما نقله هو اللفظ القرآني، بل ربما أراد المعنى؛ لهذا قالوا: إن اللفظ المذكور في آية الرجم ترجمة التنزيل لا عين التنزيل[5].

2. أنكر محمد رضا _ضمناً وليس تصريحاً_ وقوع نسخ الحكم مع بقاء التلاوة في القرآن الكريم عندما أوّل الآيات الدالة على النسخ بمعجزات الأنبياء وشرائعهم، فذكر بأن تأخير آيات الأحكام ليس له معنى ظاهر[6].

1() يُنظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى: 1988م، عالم الكتب، بيروت/ لبنان، 189/1. **الزجاج:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج نسبة إلى عمله بالزُجاج، عالم بالنحو وباللغة، فمن شيوخه المبرد، ومن كتبه: معاني القرآن والاشتقاق وخلق الإنسان، توفي سنة 311هـ. يُنظر: الأعلام: 40/1.

2() يُنظر: الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، الطبعة الاولى: 1408هـ، مكتبة الفلاح، الكويت، ص60. **النحاس:** هو أبو جعفر أحمد بن إسماعيل المرادي المصري، مفسر وأديب، من كتبه: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، ومعاني القرآن، توفي سنة 338هـ. يُنظر: الأعلام، 208/1.

3() يُنظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دون رقم الطبعة: 1984م، الدار التونسية، تونس، 663/1. **ابن عاشور:** هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتيين المالكيين وشيخ جامع الزيتونة، ومن أعضاء المجمعَيْن العربيَين في دمشق والقاهرة، من كتبه: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي، والتحرير والتنوير، توفي سنة 1393هـ. يُنظر الأعلام، 174/6، 175.

4() يُنظر: علي بن جريد العنزي، نسخ التلاوة بين المجيزين والمانعين، العدد التاسع والثلاثون، ربيع الآخر 1437هـ، مجلة العلوم الشرعية، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الحدود الشمالية، عرعر/ السعودية، ص477.

5() يُنظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الفارسي الجرجاني، تحقيق: طلعت الفرحان ومحمد أمرير، الطبعة الأولى: 2009م، دار الفكر، عمان/ الأردن، 449/2.

6() يُنظر: تفسير المنار،1/ 345.

هذا الرأي لم يقل به من العلماء السابقين إلا أبو مسلم الأصفهاني[1] في القرن الرابع الهجري، وهناك كثير من العلماء المعاصرين من ذهب إلى هذا الرأي؛ كأمثال محمد عبده، وأبي زهرة[2]، وغيرهم. وما ذهب إليه محمد رضا ومن معه هو مخالف لاتفاق علماء المسلمين على وقوع النسخ في القرآن الكريم، وهو نسخ الحكم، وبقاء التلاوة، كآية تحويل القبلة، وعدة المتوفى عنها زوجها وغير ذلك.

ثالثاً: إباحة التيمم للمسافر بلا شرط:

ذهب محمد رضا عند تفسيره لآية التيمم إلى استنباط بأنه يحق للمسافر التيمم مع وجود الماء، فقال: "إن حكم المريض والمسافر إذا أراد الصلاة كحكم المحدث حدثاً أصغر أو ملامس النساء ولم يجد الماء فعلى كل هؤلاء التيمم فقط"[3]، وذكر بأن هذا الاستنباط يظهر للمقلدين بـ"أن التيمم في السفر جائز ولو مع وجود الماء، وهذا مخالف للمذاهب المعروفة عندنا، فكيف يعقل أن يخفى معناها هذا على أولئك الفقهاء المحققين ويعقل أن يخالفوها من غير معارض لظاهرها أرجعوها إليه"[4]، وعلَّته على هذا الاستنباط بأنه "من رُخص السفر التي منها قصر الصلاة وجمعها وإباحة الفطر في رمضان، فهل يستنكر مع هذا أن يرخص للمسافر في ترك الغسل والوضوء، وهما دون الصلاة والصيام؟"[5].

هذا الاستنباط الذي وصل إليه محمد رضا وذكره في تفسيره لم يقل به أحد من العلماء، بل أجمع الفقهاء وهو نقل عن التابعين والصحابة بلا شك - وليس كما ادعى محمد رضا بأنه رأي

1() هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني معتزلي، كان عالماً بالتفسير واللغة، والي أصفهان وبلاد فارس، من كتبه: جامع التأويل في التفسير وردت في تفسير الرازي وكتاب الناسخ والمنسوخ، توفي سنة 322هـ. يُنظر: الأعلام، 50/6.

2() يُنظر: أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، دار الفكر العربي، دمشق/ سوريا، ص194. **أبو زهرة:** هو محمد بن أحمد، من أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، كان وكيلاً لكلية الحقوق في جامعة الأزهر، ثم وكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية، من كتبه: الخطابة وتاريخ الجدل في الإسلام واصول الفقه، توفي سنة 1394هـ. يُنظر: الأعلام، 25/6، 26.

3() تفسير المنار، 97/5.

4() المصدر نفسه، 98/5.

5() المصدر نفسه.

منهم - بأن المسافر لا يحق له التيمم وصلاته باطلة إذا توافر الماء الكافي، وله القدرة للوصول إليه بل يجب عليه الوضوء أو الغسل بحسب حاله، وفيما يخص ذكر المسافر في آية التيمم: هو ذكرٌ من باب الغالب بأن المسافر يفقد الماء مطلقاً أو ليس لديه ما يكفي من الماء للوضوء أو الغسل، كما أن السفر ذكر في آية الرهن؛ مظنة عدم وجود الكاتب[1].

المطلب الثالث

المآخذ المنهجية على محمد رشيد رضا

هذه مجموعة من المآخذ التي سُجلت على محمد رضا في الأمور المنهجية، والتي أخذت من خلال كتبه ومؤلفاته، وفيما يلي ذكر لأبرزها:

أولاً: تقديم العقل على النقل:

سلك محمد رضا مسلك المدرسة العقلية الحديثة وهو المبالغة في تقديم العقل على النقل، فأدى ذلك إلى الوقوع في كثير من المخالفات، فنتج عن ذلك الإسراف أحياناً في الخضوع للعقل وهو أمام الغيب قاصر مهما كانت قوته، والحذر والاحتراس من تقبُّل الغيبيات والتسليم بها[2]، ومن أمثلة ذلك: أن الملائكة هي القوى والأفكار الموجودة في النفوس، وأن المراد بسجود الملائكة لآدم هو تسخير القوى للإنسان في هذه الحياة، وأن قصة آدم بما فيها من محاورة الملائكة وتعليمه الأسماء، وسجود الملائكة له هي من باب التمثيل؛ لا أنها وقعت بالفعل[3]. حيث إن طريقته في التعامل إذا تعارض العقل والنقل ما يلي:

1. طريق التسليم بصحَّة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه.
2. تأويل النَّقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتَّى يتَّفِق معناه مع ما أثبته العقل[4].

1() يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود ابن عبد المقصود وآخرون، الطبعة الأولى: 1996م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة/ السعودية، 2/ 202.

2() يُنظر: أحمد الشرباطي؛ محمد حلمي عبد الوهاب.

3() يُنظر: تفسير المنار، 315/8

4() يُنظر: محمد رضا، 441/5.

وهذا مخالف للأصل المستقر بأن العقل لا يخالف النقل الصحيح، والعبرة في المسائل الاعتقادية هي صحة الإسناد وسلامته من العلل القادحة. والعجيب أن محمد رضا قد أشار إلى خطأ من يقول إن الدليل العقلي هو الأصل، فيرد إليه الدليل السمعي، ويجب تأويله لأجل موافقته له مطلقاً[1].

ثانياً: عدم الثبات في منهج التفسير:

استمر محمد رضا في كتابة تفسيره قرابة الثلاثين عاماً الذي كان يحتوي دروساً في التفسير من شيخه محمد عبده مع بعض الإضافات لديه وهذا كان في الأجزاء العشرة الأولى، لكن بعد وفاة أستاذه حدثت الانعطافة الكبرى ابتداء من الجزء الحادي عشر كما ذكرها بنفسه فقال: قمت "بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة"[2]، وهذا التحول أدى إلى تضييق فسحة حرية النظر اللغوي والعقلي المستقل التي كان يمنحها عبده لنفسه أثناء تفسيره؛ لصالح توسيع دائرة الاعتماد على النصوص الدينية، سواء كان قرآناً وسنةً وأقوال السلف، وزيادة الاعتماد على التفريع الفقهي، والتوسع الكلامي واللغوي.

هذا التحول في المنهج وإن كان في مسار صحيح إلا أنه يُعدُّ مأخذاً على مفسر كان دائماً ما ينصح بالاستقلالية وعدم المبالغة في التأثر بالأشخاص.

ثالثاً: القدح في العلماء:

وصف كعب الأحبار[3] ووهب بن منبّه[4] بأوصاف لا يوصف بها أمثال هؤلاء، منها ما ذكره بأن "كعب الأحبار ووهب بن منبه؛ وهما من خيارهم عند الرواة ومعظم الخرافات والأكاذيب

1() يُنظر: تفسير المنار، 211/1.

2() تفسير المنار، 16/1.

(3) هو التابعي أبو إسحاق كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود ثم أسلم في خلافة أبي بكرﷺ، وقدم المدينة في خلافة عمرﷺ، وأخذ عن الصحابة الكتاب والسنة، وأخذوا عنه أخبار الأمم الغابرة، ثم خرج إلى الشام وسكن بحمص، توفي سنة32هـ. يُنظر: الأعلام، 228/5.

نقلت عنهما"[1]، "وإن بطلي الإسرائيليات، وينبوعي الخرافات، كعب الأحبار ووهب بن منبه"[2]، "بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين; ليفسد عليهم دينهم وسنتهم"[3].

وكعب الأحبار من التابعين وأثنى عليه بعض الصحابة كأبي الدرداء ومعاوية _رضي الله عنهما_ وهو من الثقات عند علماء الجرح والتعديل، والكلام هذا _أيضاً_ ينطبق على وهب بن منبِّه.

لم يقف عند هذا الحد بل وصف الفقهاء بأنهم مفتونون بالروايات والاصطلاحات ومذاهبهم محدثة عندما ذكر أن آية التيمم "ليست معضلة ولا مشكلة، وليس في القرآن معضلات إلا عند المفتونين بالروايات والاصطلاحات، وعند من اتخذوا المذاهب المحدثة بعد القرآن"[4].

ولا شك أن هذا مأخذٌ على محمد رضا، فلا يجب أن يتناول هؤلاء الفقهاء بهذه الكلمات، فهم من أصحاب القرون الثلاثة الخيرة، والتي اجتمعت الأمة الإسلامية على مذاهبهم، وصدق نواياهم، فذاعت سيرتهم ونقلت كتبهم إلى أرجاء العالم إعجاباً بهم وبما أتقنوه من العلوم.

وأخيراً فإن هذه الملحوظات والمآخذ لا تقلل من كتابات محمد رضا وتأثيره في الجانب الدعوي والإصلاحي، والاستفادة من تفسيره، فالكمال لله وحده، والعبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات، وإنما الأعمال بالخواتيم.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فها نحن وصلنا إلى الجزء الأخير من هذا البحث ألا وهي الخاتمة، وفيما يلي أهم النتائج لهذا البحث:

4() هو أبو عبد الله وهب بن منبِّه الصنعاني الذماري أصله من بلاد فارس، يعدُّ من التابعين، مؤرخ وكثير الإخبار عن الكتب القديم، اتهم بالقدر ثم رجع، ويُقال إنه صاحب ابن عباس ﷺ، من كتبه: قصص الأنبياء وقصص الأخيار، قتله يوسف بن عمر سنة 114هـ. يُنظر: الأعلام، 124/8، 125.

1() تفسير المنار، 317/8.

2() المصدر نفسه، 398/9.

3() المصدر نفسه، 416/9.

4() المصدر نفسه، 97/5.

1. تربى محمد رضا تربية صوفية، وشرب من منابعها المنتشرة في بلده، وانتقد ما رآه مخالفاً بعد هجرته.
2. تأثر محمد رضا بشيوخه كثيراً فاتصف بحب الاستقصاء والتحقيق في العلم وفقه النفس واستقلال الفكر.
3. كان جريئاً في قول الحق، وإنكار البدع والخرافات عند أصحاب الفرق.
4. بالرغم من الصفات الحسنة التي استقاها من شيوخه، إلا أنه كان يتغير منهجياً بعد مفارقة شيوخه، فبدأ حياته صوفيّاً متنسكاً، ثم صوفياً فلسفيّاً محارباً للبدع والخرافات، ثم سلفيّاً خالصاً بعد نزعه ثوب الصوفية بالكامل، إضافة إلى دخوله في غِمار السياسة بعد موت شيخه محمد عبده، حيث كان كثيراً ما ينهاه عن الدخول في غمارها.
5. سُجِّلت عدة مآخذ عقدية وأصولية ومنهجية على محمد رضا كإنكاره خروج المهدي وعدم الأخذ بخبر الآحاد.
6. غلب على تفسيره وتحليله للآيات والقضايا الإسلامية المنهج العقلاني الفلسفي، فأدَّى ذلك إلى إنكار بعض الغيبيات.
7. التشكيك في الأمور التي أجمع عليها علماء المسلمين يُعدُّ مدخلاً لضعاف النفوس والمستشرقين المترصدين للإسلام والمسلمين.
8. عدم إدراك حقيقة النسخ وعدم فهم فلسفة إبقاء الآيات التي نسخت أدى بمحمد رضا وغيره إلى إنكار وقوع النسخ في القرآن الكريم، وأن النسخ أمر عبثي.
9. نسب بعض الكُتَّاب في بحوثهم ومقالاتهم آراء لمحمد رضا ذكرها في كتاباته، لكن في الحقيقة هو نقل تلك الآراء ولم يتبنَّاها، كنقله تأويل أن الميزان هو القضاء العادل.
10. محاولة إدراج أفكاره الإصلاحية في سياق التراث الإسلامي بعد وفاة شيخه محمد عبده لاقت قبولاً عاماً عند قرائه، بعد أن اتهم تفسيره وكتاباته بانتهاجها منهجاً عقلانيّاً وفلسفيّاً.

نسأل اللهﷻ التوفيق والسداد، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يحسن خاتمتنا!.

المصادروالمراجع

_ مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي، برواية حفص عن عاصم.

1. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الأولى: 1986م، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.
2. أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، دار المعرفة، بيروت/ لبنان.
3. أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، دار الفكر العربي، دمشق/ سوريا.
4. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الطبعة الخامسة عشر: 2002م، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان.
5. تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية: 1988م، دار الفكر، بيروت/ لبنان.
6. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دون رقم الطبعة: 1984م، الدار التونسية، تونس.
7. تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، محمد الطاهر ابن عاشور، الطبعة الثانية: 2008م، دار سحنون، تونس.
8. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، دون ذكر رقم الطبعة: 1387هـ، وزارة عموم الاوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط/ المغرب.
9. حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، عامر بن حسن صبري، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة/ السعودية.
10. درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الفارسي الجرجاني، تحقيق: طلعت الفرحان ومحمد أمرير، الطبعة الأولى: 2009م، دار الفكر، عمان/ الأردن.
11. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، دار التراث، القاهرة/ مصر.
12. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، المكتبة العصرية، صيدا/ لبنان.

13. السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة، الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الأولى: 1937م، مطبعة ابن زيدون، دمشق/ سوريا.
14. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، الطبعة الأولى: 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.
15. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى: 1422هـ، دار طوق النجاة، بيروت/ لبنان.
16. صحيح الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، المكتب الإسلامي، بيروت/ لبنان.
17. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان.
18. علي بن جريد العنزي، نسخ التلاوة بين المجيزين والمانعين، العدد التاسع والثلاثون، ربيع الآخر 1437هـ، مجلة العلوم الشرعية، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الحدود الشمالية، عرعر/ السعودية.
19. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دون ذكر اسم الطبعة: 1379هـ، دار المعرفة، بيروت/ لبنان.
20. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود ابن عبد المقصود وآخرون، الطبعة الأولى: 1996م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة/ السعودية.
21. محمد بهجة البيطار، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء التاسع والعاشر، المجلد الخامس عشر، مطبعة ابن زيدون، دمشق/ سوريا.
22. محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المكتبة الشاملة.
23. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى: 1988م، عالم الكتب، بيروت/ لبنان.
24. المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب وآخرون، الطبعة الاولى: 1996م، دار ابن كثير، بيروت/ لبنان.
25. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، الطبعة الاولى: 1408هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

26. أحمد الشرباطي، العقل في تفسير المنار، مجلة الوعي الإسلامي، الرابط:
http://www.4shared.com/document/7eng1C8c/__.html

تاريخ الزيارة: الأحد: 1. 8. 2021م، الساعة: 4:17م.

27. محمد حلمي عبد الوهاب، قراءة في تفسير المنار، الرابط:
https://islamonline.net/تفسير-المنار-في-سياق-التفاسير-المعاصر-2/
تاريخ الزيارة: الأحد: 1. 8. 2021م، الساعة: 4:17م.

28. https://www.facebook.com/106541711150423/posts/106614221143172/
تاريخ الزيارة: 11. 9. 2021م، الساعة: 9:30م.